(سورة الأنبياء)

{ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ }
{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلاَّ ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ }
{ لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
هَلْ هَـٰذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ }
{ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ }
{ بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ
فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلأَوَّلُونَ }
{ مَآ آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ }
{ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ
فَاسْئَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }
{ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَالِدِينَ }
{ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ } {
لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }
{ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ }
{ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ }
{ لاَ تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُواْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ }
{ قَالُواْ يٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ }
{ فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ }
{ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ }
{ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ }
{ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ

فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }

{ اقْتَرَب للناس حسابهم } في القيامة الصغرى، بل لو عرفوا القيامة لعاينوا حسابهم الآن. أي: لو أردنا أن نتخذ موجودات تحدث وتفنى كما قيل:

{ نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ }

[الجاثية، الآية:٢٤] لأملكننا من جهة القدرة لكنه ينافي الحكمة والحقيقة فلا نتخذها { بل نقذف } باليقين البرهاني والكشفي على الاعتقاد الباطل { فيدمغه } فيقمعه { فإذا هو } زائل { ولكم } الهلاك { مما تصفون } من عدم الحشر أو نقذف بالتجلي الذاتي في القيامة الكبرى الذي هو الحق الثابت الغير المتغيرعلى باطل هذه الموجودات الفانية فيقهره ويجعله لا شيئاً محضاً، فإذا هو فانٍ صَرِف، فيظهر أنّ الكل حق وأمره جد، لا باطل ولا لهو، ولكم الهلاك والفناء الصَرِف { مما تصفون } من إثبات وجود الغير واتصافه بصفة وفعل وتأثير { لفسدتا } لأن الوحدة موجبة لبقاء الأشياء، والكثرة موجبة لفسادها.

ألا ترى أن كل شيء له خاصية واحدة يمتاز بها عن غيره هو بها هو ولو لم تكن لم يوجد ذلك الشيء، وهي الشاهدة بوحدانيته تعالى كما قيل:

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

{ وَلَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ }

{ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ }

{ أَمِ ٱتَّخَذُواْ آلِهَةً مِّنَ ٱلأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ }

{ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }

{ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }

{ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ }

{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ
أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَٱعْبُدُونِ }
{ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ }
{ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ }
{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ
إِلاَّ لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ }
{ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ
كَذَلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ } { أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ
كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ } { وَجَعَلْنَا فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ
وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ }
{ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ }

والعدل الذي قامت به السموات والأرض هو ظل الوحدة في عالم الكثرة، ولو لم يوجد هيئة وحدانية في المركبات كاعتدال المزاج لما وجدت، ولو زالت تلك الهيئة لفسدت في الحال { فسبحان الله } أي: نزّه للفيض على الكل بربوبيته للعرش الذي ينزل منه الفيض على جميع الموجودات عما تصفونه من إمكان التعدّد.

{ يعلم ما بين أيديهم } أي: ما تقدّمهم من العلم الكليّ الثابت في أمّ الكتاب المشتمل على جميع علوم الذوات المجرّدة من أهل الجبروت والملكوت { وما خلفهم } من علوم الكائنات والحوادث الجزئية الثابتة في السماء الدنيا، فكيف يخرج عن علمهم إحاطة علمه ويسبق فعلهم أمره وقولهم قوله { ولا يشفعون إلا لمن } علمه أهلاً للشفاعة بقبوله لصفاء استعداده ومناسبة نفسه للنور الملكوتي { وهم } في الخشية من سبحات وجهه والخشوع والإشفاق والانقهار تحت أنوار عظمته.

{ أو لم ير } المحجوبون عن الحق { أنّ السموات والأرض كانتا } مرتوقتين من هيولى

واحـدة ومـادة جسـمانية { ففتقناهـما } بتبايـن الصـور، أو أن سـموات الأرواح وأرض الجسـد كانـا مرتوقتـين في صـورة نطفـة واحـدة ففتقناهـما بتبايـن الأعضـاء والأرواح.
{ وجعلنـا } أي: خلقنـا مـن النطفـة كل حيـوان { وجعلنـا } في أرض الجسـد { رواسي } العظـام كراهـة أن تضطـرب وتجـيء وتذهـب وتختلـف بهـم فـلا تقـوم بهـم وتسـتقل { وجعلنـا فيهـا فجاجـاً } مجـاري، طرقـاً للحـواس وجميـع القـوى { لعلهـم يهتـدون } بتلـك الحـواس والطـرق إلى آيـات اللـه فيعرفـوه.
{ وجعلنـا } سـماء العقـل { سـقفاً } مرتفعـاً فوقهـم { محفوظـاً } مـن التغـير والسـهو والخطـأ { وهـم } عـن حججهـا وبراهينهـا { معرضـون }.

{ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }

{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ }

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }

{ وَإِذَا رَآكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوۤاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً

أَهَـٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَافِرُونَ }

{ خُلِقَ ٱلإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ }

{ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }

{ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ

وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ }

{ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ }

{ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ

بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }

{ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ }

{ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ

وَلاَ هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ }

{ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰؤُلاءِ وَآبَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ }

{ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلاَ يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ }

{ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ }

{ وهو الذي خلق } ليل النفس ونهار العقل الذي هو نور شمس الروح وقمر القلب { كل في فلك } أي: مقرّ علوي وحدّ ومرتبة من سموات الروحانيات يسيرون إلى الله { خلق الإنسان من عجل } إذ النفس التي هي أصل الخلقة دائمة الطيش والاضطراب لا تثبت على حال فهو مجبول على العجل ولو لم يكن كذلك لم يكن له السير والترقي من حال إلى حال إذ الروح دائم الثبات وبتعلقه بالنفس يحصل وجود القلب ويعتدل بهما في السير، فما دام الإنسان في مقام النفس ولم يغلب عليه نور الروح والقلب المفيد للسكينة والطمأنينة يلزمه العجلة بمقتضى الجبلة. { لو يعلم } المحجوبون عن الرحمن العامّ الفيض وعن المعاد الشامل للكل وقت إحاطة العذاب بهم جميع الجهات بأمر الرحمن المحيط العلم الوحداني الأمر فلا يقدرون أن يمنعوه عما قدامهم من الجهة التي تلي الروح المعذبة بنار القهر الإلهي والحرمان الكلي من الأنوار الروحانية والكمالات الإنسانية ولا عما خلفهم من الجهة التي تلي الجسد المعذبة بنار الهيئات الجسمانية والعقارب والحيّات السود النفسانية والأقذار الهيولانية والآلام الجسدانية { ولا هم ينصرون } من الأمدادات الرحمانية لكثافة حجابهم وشدّة ارتيابهم لما استعجلوا.

{ أفلا يرون } أتمادت غفلتهم فلا يرون { أنا نأتي } أرض البدن بالشيخوخة { ننقصها من أطرافها } كالسمع والبصر وسائر القوى أو أرض النفس المتيقظة المتوجهة إلى الحق، الذاكرة بأنوار الصفات ننقصها من صفاتها وقواها { أفهم الغالبون } أم نحن { ولئن مسّتهم نفحة } من النفحات الربانية في صورة العذاب أي: من الألطاف الخفيّة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: « سبحان من اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، واتسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته «. فكشف عنهم حجاب الغفلة المتراكمة من طول التمتيع الذي هو النقمة في صورة الرحمة والقهر الخفيّ ليستيقظنّ ويتنبهنّ

لظلمهم في إعراضهم عن الحق وانهماكهم في الباطل.

{ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ } { ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ } { وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ }

{ ونضع الموازين القسط } ميزان الله تعالى هو عدله الذي هو ظلّ وحدته وصفته اللازمة لها، به قامت سموات الأرواح وأرض الأجساد واستقامت ولولاه لما استقرّ أمر الوجود على النسق المحدود. ولما شمل الكل أصاب كل موجود قسطه منه بحسب حاله وقدر احتماله فصار بالنسبة إلى كل أحد بل كل شيء ميزاناً خاصاً وتعدّدت الموازين على حسب تعدّد الأشياء وهي جزئيات الميزان المطلق ولذلك أبدل القسط المطلق منها أو وصفها به، فإنها كلها هي العدل المطلق الواحد ولا تعدّد الحقيقة بتعدّد المظاهر.ووضعها عبارة عن ظهور مقتضاها وذلك إنما يكون يوم القيامة الصغرى بالنسبة إلى المحجوب ويوم القيامة الكبرى بالنسبة إلى أهلها { فلا تظلم نفس شيئاً } لأن كل ما عملت من خير وجد حالة عمله في كفّة الحسنات التي هي جهة الروح من القلب وكل ما عملت من سوء وضع في كفّة السيئات التي هي جهة النفس منه. والقلب هو لسان الميزان ولهذا قيل: يجعل في كفّة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفّة السيئات جواهر سود مظلمة، إلا أن الثقل هناك يوجب الصعود والميل إلى العلوّ، والخفة توجب النزول والميل إلى السفل بخلاف الميزان الجسماني إذ الثقيل ثمة هو الراجح المعتبر الباقي عند الله والخفيف هو المرجوح الذي لا وزن له عند الله ولا اعتبار فلا ينقص مما عملت نفس شيئاً { وإن كان مثقال حبة من خردل } ومن هذا يعلم ما قيل: إن الله تعالى يحاسب الخلائق في أسرع من فواق شاة.

{ آتينا موسى } القلب { وهارون } العقل أو على ظاهرهما { الفرقان }

أي: العلم التفصيلي الكشفي المسمّى بالعقل الفرقاني { وضياء }

أي: نوراً تاماً من المشاهدات الروحانية { وذكرى } أي: تذكيراً وموعظة { للمتّقين

الذيـن } تزكـت نفوسـهم مـن الرذائـل والصفـات الحاجبـة فأشرقـت أنـوار طيبـات العظمـة مـن قلوبهـم عـلى نفوسـهم لصفائهـا وزكائهـا فأورثـت الخشـية في حـال الغيبـة قبـل الوصـول إلى مقـام الحضـور القلبـي { وهـم مـن السـاعة } أي: القيامـة الكـبرى عـلى إشـفاق وتوقـع لوقوعهـا لقـوة يقينهـم إذ الإشـفاق إنمـا يكـون عنـد التوقـع لـشيء مترقـب الوقـوعأي: آتيناهـما في مقـام القلـب، العلـم الـذي بـه يفـرق بـين الحـق والباطل مـن الحقائـق والمعـارف الكليـة وفي مقـام الـروح ومرتبتـه النـور المشـاهد الباهـر عـلى كل نـور، وفي مقـام النفـس ورتبـة الصـدر التذكـير بالمواعـظ والنصائـح والشرائـع مـن العلـوم الجزئيـة النافقـة للمسـتعدّين القابلـين السـالكين.

{ وهـذا ذكـر } غزيـر الخـير والبركـة، شـامل للأمـور الثلاثـة، زائـد عليهـا بالكشـف الـذاتي والشـهود الحـق في مقـام الهويـة وعـين جمـع الأحديـة جامـع لجوامـع الكلـم، حـاف بجميـع المشـاهدات والحِكـم إذ في البركـة معنـى النـماء والزيـادة.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ }

{ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ }

{ قَالُواْ وَجَدْنَآ آبَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ }

{ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ }

{ قَالُوۤاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللاَّعِبِينَ }

{ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ ٱلَّذِي فطَرَهُنَّ وَأَنَاْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ }

{ وَتَٱللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ }

{ ولقـد آتينـا إبراهيـم } الـروح { رشـده } المخصـوص بـه الـذي يليـق بمثلـه وهـو الاهتـداء إلى التوحيـد الـذاتي ومقـام المشـاهدة والخلـة { مـن قبـل } أي: قبـل مرتبـة القلـب والعقـل متقدّمـاً عليهـما في الـشرف والعـزّ { وكنـا بـه عالمـين } أي: لا يعلم بكماله وفضيلته غيرنا لعلوّ شأنه.

{ إذ قـال لأبيـه } النفـس الكليـة { وقومـه } مـن النفـوس الناطقـة السـماوية وغيرهـا { مـا هـذه التماثيـل } أي: الصـور المعقولـة مـن حقائـق العقـول والأشـياء وماهيـات

الموجودات المنتقشة فيها { التي أنتم لها عاكفون } مقيمون على تمثلها وتصوّرها وذلك عند عروجه من مقام الروح المقدّسة وبروزه عن الحجب النورية إلى فضاء التوحيد الذاتي، كما قال عليه السلام:

{ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً }

[الأنعام، الآيات:٧٨ - ٧٩]، ومن هذا المقام قوله لجبريل عليه السلام:

أما إليك فلا { وجدنا آباءنا } عللنا من العوالم السابقة على النفوس كلها من أهل الجبروت { لها عابدين } باستحضارهم إياها في ذواتهم لا يذهلون عنها { في ضلال مبين } في حجاب عن الحق نوريّ، غير واصلين إلى عين الذات عاكفين في برازخ الصفات لا تهتدون إلى حقيقة الأحدية والغرق في بحر الهوية

{ أجئتنا بالحق } أي: أحدث مجيئك إيانا من هذا الوجه بالحق فيكون القائل هو الحق عزّ سلطانه أم استمر بنفسك كما كان فتكون أنت القائل فيكون قولك لعباً لا حقيقة له.

فإن كنت قائماً بالحق، سائراً بسيره، قائلاً به، صدقت وقولك الجدّ وتفوّقت علينا، وتخلفنا عنك، وإن كنت بنفسك فبالعكس { بل ربّكم } الجائي والقائل ربكم الذي يربكم بالإيجاد والتقويم والإحياء والتجريد والإنباء والتعليم ربّ الكل الذي أوجده { وأنا على ذلكم } الحكم بأن القائل هو الحق الموصوف بربوبية الكل

{ من الشاهدين } وهذا الشهود هو شهود الربوبية والإيجاد وإلا لم يقل أنا وعلي إذ الشهود الذاتي هو الفناء المحض الذي لا أنائية فيه ولا إثنينية، وتلك الإثنينية بعد الإفصاح بأن الجائي والقائل هو الحق الذي أوجد الكل مشعرة بمقام الكل المتخلف عن مقام { لأكيدنّ أصنامكم } لأمحونّ صور الأشياء وأعيان الموجودات التي عكفتم على إيجادها وحفظها وتدبيرها، وأقبلتم على إثباتها بعد

أن تعرضوا عن عين الأحدية الذاتية بالإقبال إلى الكثرة الصفاتية بنور التوحيد.

{ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ }
{ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَآ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ }
{ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ }

{ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ }
{ قَالُوٓاْ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَاهِيمُ }
{ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ }
{ فَرَجَعُواْ إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّالِمُونَ }
{ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلاءِ يَنطِقُونَ }
{ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ }
{ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }

{ فجعلهم } بفأس القهر الذاتي والشهود العيني { جذاذاً } قطعاً متلاشية فانية { إلا كبيراً لهم } هو عينه الباقي على اليقين الأول الذي به سمى الخليل خليلاً { لعلهم إليه يرجعون } يقبلون منه الفيض ويستفيضون منه النور والعلم كما استفاض هو منه أولاً.

{ قالوا } أي: قالت النفوس العاشقة بالعقول { من فعل هذا } الاستخفاف والتحقير { بآلهتنا } التي هي معشوقاتنا ومعبوداتنا بنسبتها إلى الاحتجاب والنظر إليها بعين الفناء وجعلها بقوّة الظهر كالهباء، متعجبين منه، معظمين له، مستعظمين لأمره { إنه لمن الظالمين } الناقصين حقوق المعبودات المجرّدة وجميع الموجودات من الوجودات والكمالات بنفيها عنهم وإثباتها للحق، أو الناقصين حق نفسهم بإفنائها وقهرها { قالوا سمعنا فتى } كاملاً في الفتوّة والشجاعة على قهر ما سوى الله من الأغيار والسخاوة ببذل النفس والمال { يذكرهم } بنفي القدرة والكمال عنهم ونسبة العدم والفناء إليهم { فأتوا به } أي: استحضروه وأحضروه معايناً لجميع النفوس { لعلهم يشهدون } كماله وفضيلته فيستفيدون منه.

{ أأنت فعلت هذا } صورة إنكار لما لم يعرفوا من كماله إذ كل ما يمكن للنفوس معرفته فهو دون كمال العقول التي هي معشوقاتها وهي محجوبة عن كماله الإلهي الذي هو به أشرف منها { قال بل فعله كبيرهم } أي: ما فعلته بأنائيتي التي أنا بها أحسن منها، بل بحقيقتي وهويتي التي هي أشرف وأكبر منها { فاسألوهم إن كانوا ينطقون } بالاستقلال، أي: لا نطق لهم ولا علم ولا وجود

بأنفسهم بل بالله الذي لا إله إلا هو,{ فرجعوا إلى أنفسهم } بالإقرار والإذعان معترفين بأن الممكن لا وجود له بنفسه فكيف كماله { فقالوا إنكم أنتم الظالمون } بنسبة الوجود والكمال إلى الغير لا هو { ثم نكسوا على رؤوسهم } حياء من كماله ونقصهم وخضوعاً وانفعالاً منه { لقد علمت } بالعلم اللدني الحقاني فناءهم فنفيت النطق عنهم، وأما نحن فلا نعلم إلا ما علمنا الله فاعترفوا بنقصهم كما اعترفوا به عند معرفتهم لآدم بعد الإنكار، فقالوا:

{ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ }[البقرة، الآية: ٣٢].

{ أفتعبدون من دون } وتعظمون غيره مما لا ينفع ولا يضر، إذ هو النافع الضارّ لا غير { أفٍ لكم } أتضجر بوجودكم ووجود معبوداتكم ووجود كل ما سواء تعالى { أفلا تعقلون } أن لا مؤثر ولا معبود إلا الله.

{ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ }

{ قُلْنَا يٰنَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَٰماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ }

{ وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلأَخْسَرِينَ }

{ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ }

{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ }

{ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُواْ لَنَا عَابِدِينَ }

{ حرّقوه } أي: اتركوه يحترق بنار العشق التي أنتم أوقدتموها أولاً بإلقاء الحقائق والمعارف إليه التي هي حطب تلك النار عند رؤيته ملكوت السموات والأرض بإراءة الله إياه، كما قال:

{ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ }[الأنعام، الآية: ٧٥]

وإشراق الأنوار الصفاتية والأسمائية عند تجليات الجمال والجلال عليه من وراء أستار أعيانكم التي هي منشأة اتقاد تلك النار { وانصروا آلهتكم }

أي: معشوقاتكم ومعبوداتكم في الإمداد بتلك الأنوار وإيقاد تلك النار

{ إن كنتم فاعلين } بأمر الحق { يا نار كوني برداً وسلاماً } بالوصول حال الفناء،

فإن لـذّة الوصـول تفيـد الـروح الكامـل والسـلامة عـن نقـص الحدثـان وآفـة النقصـان والإمـكان في عـين نـار العشـق { وأرادوا بـه كيـداً } بإفنائـه وإحراقـه { فجعلناهـم الأخسريـن } الأنقصـين منـه كـمالاً ورتبـة { ونجينـاه } ولـوط العقـل بالبقـاء بعـد الفنـاء بالوجـود الحقـاني الموهـوب إلى أرض الطبيعـة البدنيـة { التـي باركنـا فيهـا } بالكـمالات العمليـة المثمـرة والآداب الحسـنة المفيـدة والشرائـع والملـكات الفاضلـة { للعالمـين } أي: المسـتعدّين لقبـول فيضـه وتربيتـه وهدايتـه. { ووهبنـا لـه إسـحاق } القلـب للـردّ إلى مقامـه بتكميـل الخلـق حـال الرجـوع عـن الحـق { ويعقـوب } النفـس المرتاضـة الممتحنـة بالبـلاء، المطمئنـة باليقـين والصفـاء { نافلـة } متنـوّرة بنـور القلـب متولّـدة منـه { وكلاً جعلنـا صالحـين } بالاسـتقامة والتمكـين في الهدايـة { وجعلناهـم أئمـة } لسـائر القـوى والنفـوس الناقصـة المسـتعدة { يهـدون بأمرنـا } أمـا الـروح فبالأحـوال والمشـاهدات والأنـوار، وأمـا القلـب فبالمعـارف والمكاشـفات والأسرار، وأمـا النفـس فبالأخـلاق والمعامـلات والآداب، وهـي المـراد بقولـه: { وأوحينـا إليهـم فعـل الخـيرات وإقـام الصـلاة وإيتـاء الـزكاة وكانـوا لنـا عابديـن } بالتوحيـد والعبوديـة الحقّـة في مقـام التجريـد والتفريـد، وهـذا هـو تطبيـق ظاهـر إبراهيـم عـلى باطنـه. وقـد يمكـن أن يـؤول بـضرب آخـر مـن التأويـل مناسـب لمـا قـال النبـي عليـه السـلام: « **كنـت أنـا وعـليّ نوريـن نسـبح اللـه تعـالى ونحمـده ونهلّلـه، وسـبّحته الملائكـة بتسـبيحنا وحمدتـه بتحميدنـا، وهلّلتـه بتهليلنـا. فلـما خلـق آدم عليـه السـلام انتقلنـا إلى جبهتـه ومـن جبهتـه إلى صلبـه إلى شـيث** « .

إلى آخـر الحديـث. وهـو: أن الـروح الإبراهيمـي، قدّسـه اللـه تعـالى، كان كامـلاً في أول مراتـب صفـوف الأرواح مفيضـاً عـلى أطـوار الملكـوت كمالاتهـم، جابـراً لنقصهـم، كاسراً لأصنـام أعيـان الموجـودات وآلهـة الـذوات الممكنـات مـن الماديـة والمجـرّدات بنـور التوحيـد طاويـاً لمراتـب الكـمالات، ذاويـاً للواقفـين مـع الصفـات والمحجوبـين بالغـير عـن الـذات، فوضعـه نمـروذ النفـس الطاغيـة، العاصيـة، وقواهـا التـي هـي قومـه، في منجنيـق الذكـر والقـوّة في نـار حـرارة طبيعـة الرحـم، فجعلهـا اللـه عليـه بـرداً وسـلاماً، أي: روحـاً وبـراءة مـن الآفـات، أي: وضعـوا درّة وجـوده التـي هـي مظهـر روحـه ونجيناه إلى أرض البـدن التـي باركنـا فيهـا للعالمـين بهدايتـه إياهـم وتكميلـه وتربيتـه لهـم فيهـا بالعلـوم والأعـمال التـي هـي أرزاقهـم الحقيقيـة وأوصافهـم الكماليـة.

{ وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ }
{ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ }
{ وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ }{ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ }
{ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ }

واذكر لوط القلب { آتيناه } حكمة { وعلماً ونجيناه من } أهل قرية البدن { التي كانت تعمل } خبائث الشهوات الفاسدة { فاسقين } بإتيانهم الأمور لا من جهتنا المأمورين بها ومباشرتهم الأعمال لا على ما ينبغي من وجه الشرع والعقل { وأدخلناه في رحمتنا } الرحيمية ومقام تجلي الصفات { إنه من الصالحين } العاملين بالعلم الثابتين على الاستقامة.

ونوح العقل { إذ نادى } من جهة قدم القلب، واستدعى الله الكمال اللاحق { فاستجبنا له } بإفاضة كماله على مقتضى استعداده وإبرازه إلى الفعل { فنجيناه } فنجينا القوى القدسية والفكرية والحمدية وسائر القوى العقلية { من الكرب } الذي هو كون كمالاتها بالقوة، إذ كل ما هو كامن من الشيء بالقوة كرب له، يطلب التنفيس بالظهور والبروز إلى الفعل وكلما كان الاستعداد أقوى والكمال الممكن له، الكامن فيه، أتمّ، كان الكرب أعظم,{ ونصرناه من القوم } أي: القوى النفسانية والبدنية المكذبين بآيات المعقولات والمحرّمات { إنهم كانوا قوم سوء } يمنعونه من الكمال والتجريد ويحجبونه عن الأنوار بالتكذيب { فأغرقناهم } في يمّ القطران الهيولاني والبحر العميق الجسماني { أجمعين }.

{ وداود } العقل النظري الذي هو في مقام السرّ { وسليمان } العقل العلمي الذي هو في مقام الصدر { إذ يحكمان في الحرث } أي: فيما في أرض الاستعداد من الكمالات المودعة فيه، المخزونة في الأزل، والمغروزة في الفطرة الناشئة عند التوجه

إلى الظهور والبروز { يحكمان } فيه بالعلم والعمل والفكر والرياضة في تثميرها وإيناعها وإدراكها ,{ إذ نفشت فيه } انتشرت فيه بالإفساد في ظلمة ليل غلبة الطبيعة البدنية والصفات النفسانية { غنم القوم } أي: القوى البهيمية الشهوانية { وكنا لحكمهم } على مقتضى أحوالهم حاضرين، إذ كان الحكم بأمرنا وعلى أعيننا، ومقتضى إرادتنا، فحكم داود السرّ على مقتضى الذوق بتسليم غنم القوى الحيوانية البهيمية إلى أصحاب الحرث من القوى الروحانية بالملكية ليذبحوها ويميتوها بالاستيلاء والقهر والغلبة، ويغتذوا بها.

وحكم سليمان العقل العلمي على مقتضى العلم بتسليط القوى الروحانية عليها لينتفعوا بألبانها من العلوم النافعة والإدراكات الجزئية والأخلاق والملكات الفاضلة ويروضوها بالتهذيب والتأديب وإقامة أصحاب الغنم من النفس وقواها الحيوانية كالغضبية والمتحرّكة والمتخيلة والوهمية وأمثالها بعمارة الحرث وإصلاح ما في أرض الاستعداد بالطاعات والعبادات والرياضات من باب الشرائع والأخلاق والآداب وسائر الأعمال الصالحات حتى يعود الحرث ناضراً بالغاً إلى حدّ الكمال، لتردّ الغنم إلى أصحابها عند حصول الكمال، فتصير محفوظة مرعية مسوسة مهذبة في الأعمال البهيمية بفضيلة العفّة، ويردّ الحرث إلى أربابه من الروح وقواه يانعاً مثمراً بالعلوم والحِكَم، متزيناً بأزهار المعارف والحقائق وأنوار التجليات والمشاهدات.

{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ }
{ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ }
{ وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلأَرْضِ
ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ }
{ وَمِنَ ٱلشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ
وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ }

ولهذا قال: { ففهمناها سليمان } فإنّ العمل بالتقوى والرياضة على وفق الشرع

والحكمة العملية أبلغ في تحصيل الكمال وإبرازه إلى الفعل من العلم الكلي

والفكر والنظر والذوق والكشف { وكلاً آتينا حكماً وعلماً } إذ كل منهما على الصواب في رأيه والحكمة النظرية والعملية والمكاشفة والمعاملة كلتاهما متعاضدتان في طلب الكمال، متوافقتان في تحصيل كرم الخصال بهما.
{ وسخّرنا مع داود } الفؤاد، جبال الأعضاء { يسبحن } بألسنة خواصها التي أمرن بها ويسرن معه بسيرتها المخصوصة بها فلا تعصي ولا تمتنع عليه، فتكلّ وتثقل وتأبى أمره، بل تسير معه مأمورة بأمره، منقادة مطواعة لتأدبها وارتياضها وتعوّدها بأمره، وتمرّنها في الطاعات والعبادات، وطير القوى الروحانية يسبحنّ بالأذكار والأفكار والطيران في فضاء أرواح الأنوار { وكنا } قادرين على ذلك التسخير.
{ وعلمناه صنعة لبوس لكم } من الورع والتقوى ونعم الدرع الحصين الورع
{ لتحصنكم من } بأس القوى الغضبية السبعية واستيلاء الحرص والدواعي الطبيعية والقوى الوهمية الشيطانية { فهل أنتم شاكرون } حق هذه النعمة بالتوجه إلى الحضرة الربانية بالكلية.{ ولسليمان }
أي: سخّرنا لسليمان العقل العملي المتمكن على عرش النفس في الصدر ريح الهوى { عاصفة } في هبوبها { تجري بأمره } مطيعة له إلى أرض البدن المتدرب بالطاعة والأدب { التي باركنا فيها } بتثمير الأخلاق والملكات الفاضلة والأعمال الصالحة { وكنا بكل شيء } من أسباب الكمال { عالمين }
{ ومن } شياطين الوهم والتخيّل { من يغوصون له } في بحر الهيولى الجسمانية يستخرجون درر المعاني الجزئية { ويعملون عملاً دون ذلك } من التركيب والتفصيل والمصنوعات وبهيج الدواعي المكسوبات وأمثالها
{ وكنا لهم حافظين } عن الزيغ والخطأ والتسويل الباطل والكذب.

{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ }
{ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ }
{ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّابِرِينَ }

{ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ }
{ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ }
{ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ }

{ وأيوب } النفس المطمئنة الممتحنة بأنواع البلاء في الرياضة البالغة كمال الزكاء في المجاهدة { إذ نادى ربّه } عند شدّة الكرب في الكدّ وبلوغ الطاقة والوسع في الجدّ والجهد { أني مسّني الضرّ } من الضعف والانكسار والعجز
{ وأنت أرحم الراحمين } بالتوسعة والروح { فاستجبنا له } بروح الأحوال عن كدّ الأعمال عند كمال الطمأنينة ونزول السكينة { وكشفنا ما به من ضرّ } الرياضة بنور الهداية ونفسنا عنه ظلمة الكرب بإشراق نور القلب { وآتيناه أهله } القوى النفسانية التي ملكناها وأمتناها بالرياضة بإحيائها بالحياة الحقيقية
{ ومثلهم معهم } من إمداد القوى الروحانية وأنوار الصفات القلبية ووفرنا عليهم أسباب الفضائل الخلقية وأحوال العلوم النافعة الجزئية
{ رحمة من عندنا وذكرى للعابدين }.

{ وذا النون } أي: الروح الغير الواصل إلى رتبة الكمال { إذ ذهب } بالمفارقة عن البدنية { مغاضباً } عن قومه، القوى النفسانية لاحتجابها وإصرارها على مخالفته وإبائها واستكبارها عن طاعته { فظن أن لن نقدر عليه }
أي: لن نستعمل قدرتنا فيه بالابتلاء بمثل ما ابتلي به، أو: لن نضيق عليه، فالتقمه حوت الرحمة لوجوب تعلّقه بالبدن في حكمتنا للاستعمال { فنادى } في ظلمات المراتب الثلاث من الطبيعة الجسمانية والنفس النباتية والحيوانية بلسان الاستعداد { أن لا إله إلا أنت } فأقرّ بالتوحيد الذاتي المركوز فيه عند العهد السابق وميثاق الفطرة والتنزيه المستفاد من التجرّد الأول في الأزل بقوله:
{ سبحانك } واعترف بنقصانه وعدم استعمال العدالة في قومه فقال:
{ إني كنت من الظالمين فاستجبنا له } بالتوفيق بالسلوك والتصبير بنور الهداية إلى الوصول { ونجيناه } من غمّ النقصان والاحتجاب بنور التجلي ورفع الحجاب { وكذلك ننجي المؤمنين } بالإيمان التحقيقي الموقنين.

{ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ }
{ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ }
{ وَٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ }

{ وزكريا } الروح الساذج عن العلوم { إذ نادى ربّه } في استدعاء الكمال بلسان الاستعداد، واستوهب يحيى القلب لتنتعش فيه العلوم، وشكا انفراده عن معاضدة القلب في قبول العلم وحيازة ميراثه مع علمه بأن الفناء في الله خير من الكمال العملي حيث قال: { وأنت خير الوارثين } من القلب وغيره { ووهبنا له يحيى } القلب بإصلاح زوجه النفس العاقر لسوء الخلق وغلبة ظلمة الطبع عليها بتحسين أخلاقها وإزالة الظلمة الموجبة للعقر عنها { إنهم } إن أولئك الكمل من الأنبياء { كانوا يسارعون في الخيرات } أي: يسابقون إلى المشاهدات التي هي الخيرات المحضة بالأرواح { ويدعوننا } لطلب المكاشفات بالقلوب { رغباً } إلى الكمال { ورهباً } من النقصان أو رغباً إلى اللطف والرحموت في مقام تجليات الصفات ورهباً من القهر والعظموت { وكانوا لنا خاشعين } بالنفوس.

{ والتي أحصنت } أي: النفس الزكية الصافية المستعدّة العابدة التي أحصنت فرج استعدادها ومحل تأثير الروح من باطنها بحفظه من مسافحي القوى البدنية فيها { فنفخنا فيها } من تأثير روح القدس بنفخ الحياة الحقيقية فولدت عيسى القلب { وجعلناها } مع القلب علامة ظاهرة وهداية واضحة { للعالمين } من القوى الروحانية والنفوس المستعدّة المستبصرة يهديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

{ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ }

{ وَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ }

{ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ }

{ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ }

{ إن هـذه } الطريقـة الموصلـة إلى الحقيقـة وهـي طريقـة التوحيـد المخصوصـة بالأنبيـاء المذكوريـن طريقتكـم أيهـا المحققـون السـالكون، طريقـة { واحـدة } لا اعوجـاج ولا زيـغ ولا انحـراف عـن الحـق إلى الغـير ولا ميـل { وأنـا } وحـدي { ربّكـم } فخصصـوني بالعبادة والتوجـه ولا تلتفتوا إلى غيري { وتقطعوا }

أي: تفـرق المحجوبـون الغائبـون عـن الحـق، الغافلـون في أمـر الديـن وجعلـوا أمـر دينهـم قطعـاً يتقسـمونه { بينهـم } ويختـارون السـبل المتفرّقـة بالأهـواء المختلفـة { كل إلينـا راجعـون } عـلى أي مقصـد وأيـة طريقـة وأيـة وجهـة كانـوا فنجازيهـم بحسـب أعمالهـم وطرائقهـم.

{ فمـن } يتّصـف بالكـمالات العمليـة { وهـو } عـالم موقـن فسـعيه مشـكور غـير مكفـور في القيامـة الوسـطى والوصـول إلى مقـام الفطـرة الأولى { وإنّـا } لصـورة ذلـك السـعي لكاتبـون في صحيفـة قلبـه فيظهـر عليـه عنـد التجـرد أنـوار الصفـات وممتنـع { عـلى قريـة } حكمنـا بإهلاكهـا وشـقاوتها في الأزل رجوعهـم إلى الفطـرة مـن الاحتجـاب بصفـات النفـس في النشـأة.

{ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ }

{ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ }

{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }

{ لَوْ كَانَ هَـٰؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ }

{ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُوْلَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ }

{ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ }
{ لاَ يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ
هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }

{ حتى إذا فتحت يأجوج } القوى النفسانية { ومأجوج } القوى البدنية بانحراف المزاج وانحلال التركيب { وهم من كل حدب } من أعضاء البدن التي هي محالها ومقارها { يَنْسِلون } الذهاب والزوال { واقترب الوعد الحق } من وقوع القيامة الصغرى بالموت، فحينئذ شخصت أبصار المحجوبين لشدّة الهول والفزع، داعين بالويل والثبور، ومعترفين بالظلم والقصور.

{ إنكم وما تعبدون } أي: كل عابد منكم لشيء سوى الله محجوب به عن الحق، مرميّ مع معبوده الذي وقف معه في طبقة من طبقات جهنم، البعد والحرمان على حسب مرتبة معبوده { لهم فيها زفير } من ألم الاحتجاب وشدّة العذاب واستيلاء نيران الأشواق وطول مدة الحرمان والفراق { وهم فيها لا يسمعون } كلام الحق والملائكة لتكاثف الحجاب وشدّة طرق مسامع القلب لقوّة الجهل كما لا يبصرون الأنوار لشدّة انطباق الظلمة وعمى البصيرة.

{ إنّ الذين سبقت لهم منّا } السعادة { الحسنى } وحكمنا بسعادتهم في القضاء السابق { أولئك عنها مبعدون } لتجرّدهم عن الملابس النفسانية والغشاوات الطبيعية { لا يسمعون حسيسها } لبعدهم عنها في الرتبة { وهم في ما اشتهت } ذواتهم من الجنات الثلاث وخصوصاً المشاهدات في جنة الذات { خالدون }

{ لا يحزنهم الفزع الأكبر } بالموت في القيامة الصغرى ولا بتجلي العظمة والجلال في القيامة الكبرى { وتتلقاهم الملائكة } عند الموت بالبشارة أو عند البعث النفساني بالسلامة والنجاة، أو في القيامة الوسطى والبعث الحقيقي بالرضوان أو عند الرجوع إلى البقاء بعد الفناء حال الاستقامة بالسعادة التامّة.

{ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ
كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }
{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ }
{ إِنَّ فِي هَـٰذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ }
{ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }
{ قُلْ إِنَّمَآ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ }
{ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ }
{ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ }
{ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ }
{ قَالَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }

{ يوم نطوي السماء } أي: لا يحزنهم يوم نطوي سماء النفس بما فيها من صور الأعمال وهيئات الأخلاق في الصغرى { كطيّ } الصحيفة للمكتوبات التي فيها، أي: كما تطوى ليبقى ما فيها محفوظاً، أو سماء القلب بما فيها من العلوم والصفات والمعارف والمعقولات في الوسطى، أو سماء الروح بما فيها من العلوم من المشاهدات والتجليات في الكبرى { كما بدأنا أول خلق نعيده } بالبعث في النشأة الثانية على الأول أو بالرجوع إلى الفطرة الأولى على الثاني أو بالبقاء بعد الفناء على الثالث.

{ ولقد كتبنا في } زبور القلب { من بعد الذكر } في اللوح أن أرض البدن يرثها القوى الصالحة المنوّرة بنور السكينة بعد إهلاك الفواسق بالرياضة.

أو: ولقد كتبنا في زبور اللوح المحفوظ من بعد الذكر في أمّ الكتاب

{ أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون } من الروح والسرّ والقلب والعقل والنفس وسائر القوى بالاستقامة بعد إهلاك الصالحين بالفناء في الوحدة { لبلاغاً } لكفاية { لقوم } عبدوا الله بالسلوك فيه { رحمة } عظيمة مشتملة على الرحيمية بهدايتهم إلى الكمال المطلق والرحمانية بأمانهم من العذاب المستأصل في زمانه لغلبة رحمته على غضبه.